ملاحظات حول كتاب أبو القاسم سعد الله*

بحوث في التاريخ العربي الإسلامي

Notes on the Book of Abu al-Qasim Saadallah
Research in the Arab-Islamic history

أ.د. حنيفي هلايلي

جامعة سيدي بلعباس

تاريخ الاستلام : 2016/07/03 تاريخ القبول: 2016/09/04

Abstrat

Notes on the Book of Abu al-Qasim Saadallah Research in the Arab-Islamic history

Book Abu al-Qasim Saad Allah book ambition, aspired owner to achieve accumulation on two levels: at the level of his expertise as a historian accumulate historical knowledge for decades, and at the level of historical time chosen field of history and research, a long time without his studies on several Jyotarueh and demographic levels, economic and social The cultural and political heritage, can not absorb and understand the stages and its stations and transformations.

Saadallah offers in his book is rich in a series of statements and themes that focused on the Arab-Islamic history in two contrasting historical periods are the mediator and talk.

key words:

Abu al-Qasim Saadallah- Research in the Arab-Islamic history- Historical research methods- Communication-

كتاب أبو القاسم سعد الله كتاب طموح، طمح صاحبه إلى تحقيق تراكم على مستويين: على مستوى خبراته كمؤرخ يراكم معرفة تاريخية منذ عقود، وعلى مستوى الزمن التاريخي الذي اختاره حقلا للتأريخ والبحث، وهو الزمن الطويل الذي من دون دراسته على عدة مستويات جيوتاريخية وديمغرافية واقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وتراثية، لا يمكن استيعاب وفهم مراحله ومحطاته وتحولاته.

يقدم سعد الله في كتابه سلسلة غنية من البيانات والمواضيع التي اهتمت بالتاريخ العربي الإسلامي في فترتين تاريخيتين متباينتين هما الوسيط والحديث. [1] يحمل الكتاب جهدا تنقيبياً وبحثياً، امتد على سنوات نشرها في حقل التراث العربي الإسلامي، بدأ معالجتها حول وسائل الاتصال والتواصل بين المسلمين من خلال اللغة العربية، والتعليم، والمساجد والمدارس والزوايا،

والمكتبات والترجمة والوقف، و الحج و الرحلة، التجارة و الزكاة، و هي كلها من القيم الإسلامية و خاصية لدى المجتمع المسلم.

يبدأ سعد الله ببحوث استطلاعية حول مناهج البحث التاريخي عند ابن خلدون، وعند العلماء المغاربة [2]. فدرس سيرة ابن خلدون خلال نهاية القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر للميلاد، وأبرز مراحل كتابة ابن خلدون لكتابه العبر في قلعة ابن سلامة، وعد سعد الله هذه المرحلة الخلدونية بأنها لحظة الإبداع و الإلهام، إذ تفوق على المؤرخين السابقين و وضع أسس لعدة علوم مساعدة للتاريخ، و هي كلها تدخل في حركية التاريخ الخلدوني. [3]و الحقيقة التي أراد سعد الله توضيحها في مقاله أن ابن خلدون اكتشف علم التاريخ كعلم مستقل ، و هذا راجع بالأساس إلى حصيلة جهود كثيرة تراكمت في حقل تاريخ الأمة العربية التي استخدمت لأغراض دينية و سياسية و لجهود منهجية ضخمة في نقد الروايات و الأخبار و ضبط الأسانيد.

أمر لافت للنظر في مسألة قضية القدس التي لم تكن غائبة في كتابات سعد الله، إذ ذهب إلى ما كتبته مجلة العالم الإسلامي [4]، ما بين سنوات **1907-1924**. فمن خلال ما ورد في المجلة من تحليلات ندرك أبعاد المخططات الغربية المبكرة لتهويد القدس بواسطة الدعاية و الصحافة و الطباعة [5]. وقد قام سعد الله بتقسيم مادة القدس في بحثه إلى تسعة محاور. [6]

لقد تعرضت مجلة العالم الإسلامي أيضا إلى موضوع الجمعيات التبشيرية الكنسية في فلسطين، و لخص المؤلف جهود الإرساليات التي بلغت أحد عشر مؤسسة، و **48** حلقة (سيمنار) و بين خفايا الهجرة اليهودية المنظمة نحو فلسطين، مشيرا في الوقت ذاته إلى ماكتبه المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون(**1883-1962**) حول عروبة فلسطين و ردود الفعل على مؤتمر سان ريمو [7] و وعد بلفور [8]. و أشار إلى اتفاقية سايكس بيكو، و تصريحات جيل كامبون(Jules Cambon) (**1845-1935**) في جوان **1917**، ووزير خارجية فرنسا بيشون(Stephen Pichon) في فبراير **1918**،. و خلص المؤلف بأن التصريح الفرنسي الرسمي لصالح الصهيونية هو الذي ساهم في إصدار التصريح البريطاني المعروف بوعد بلفور.

لقد ساد الاعتقاد في أن المشهور تاريخيا هو وعد أو تصريح بلفور الإنجليزي، و ليس تصريح جول كامبون و بيشون الفرنسيين. فالسجال الذي أوضحه سعد الله بخصوص مسألة الوعد الفرنسي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ارتكز على الوثائق الفرنسية التي ترجع بداياتها إلى الحرب العالمية الأولى و التي فتحت بعد خمسين سنة. فالبحث الذي قدمه سعد الله يكشف بوضوح الوعود الفرنسية للصهاينة بتعاطف فرنسا مع إنشاء المستوطنات اليهودية و بعث الدولة العبرية في فلسطين. (9)

يستعين سعد الله في تناوله لمناهج التأليف عند علماء المغاربة بكتب الوفيات و البرامج و الموسوعات و الطبقات و التراجم (10). و قد توصل إلى أن أساليب و مناهج البحث العلمي عند علماء المغرب الإسلامي تعود إلى فترة القرن السابع و الثامن الهجريين التاسع و العاشر الميلاديين، و هي تنم على ظاهرة التأليف الموسوعي. و خلال هذه الفترة كان الفكر الغربي حسب سعد الله لا يزال عالة على الفكر العربي و الإسلامي، و يبدو أن المناهج و المعارف الإسلامية قد أفادت الفكر الغربي في كتابة التقاييد و الحوليات و التراجم و الموسوعات. كما حرص المؤلفون المسلمون على الدقة و هو خدمة العلوم الدينية.

يعالج سعد الله في موضوع أخر بالدرس و التحليل و التحقيب موضوع الحركة الإصلاحية المشرقية من خلال مجلة المنار و شيخها رشيد رضا، من خلال زيارة محمد عبده لتونس سنة **1884**، والجزائر سنة **1903**. (11) و في السياق نفسه قدم سعد الله التجربة المغاربية في الفكر السياسي ببلاد الشام منذ نشاط الأمير عبد القادر سنة **1855**، و إطفائه لفتنة الشام الطائفية سنة **1860**، و اسهامات علماء الجزائر أمثال الشيخ طاهر الجزائري و أبو يعلى الزواوي . (12)

أثار رحلة العياشي إلى القدس خلال الفترة العثمانية اهتمام سعد الله و هي تدخل في اطار وصف الرحالة المغاربة لثالث المقدسات الإسلامية(مسجد الأقصى).و تحدث سعد الله عن الرحلة القدسية كفاعل سياسي بدل الرحلة الحجازية التي كانت في الأغلب وجهة الرحالة المغاربة. لقد

بين سعد الله من خلال نصوص الرحلة أن العياشي اكتفى كرجل مهتم بالتصوف و الحياة العلمية، بمخالطة رجال الدين و التصوف و الحصول منهم على إجازات و تبادل القصائد معهم. تحدث سعد الله عن التضامن المغاربي في المنطقة. كما خص العياشي المسجد الأقصى بأوصاف كثيرة. (□) ومعلوم أن الرحالة كانوا ينتقلون لأغراض متنوعة تتراوح بين الحج و التجارة و طلب العلم و السفارة، مما ساهم في انتقال الأمتعة و الكتب و الأفكار و التقنيات بين مغرب العالم الإسلامي و مشرقه، و ساهم في تعميق المعرفة بالذات، و من ثمة كانت الرحلة أداة للتواصل بجميع أشكاله.

ما يثير الانتباه عند سعد الله هو تلك المقارنات التي يعقدها حول فرنسيان في الحجاز، و المقصود بهما رحلة ليون روش(**Léon Roches**)(**1809-1901**) الذي كان وراء تعليق الإدارة الفرنسية على جدران بعض المدن الجزائرية الكبرى ،نسخاً من فتوى علماء الحرمين الشريفين التي حصل عليها سنة **1842** .و قد ذهب روش إلى مكة للحصول على مصادقة علماء الحرم على فتوى تحرم على الجزائريين الجهاد و المقاومة ضد الفرنسيين. ([14])

و رحلة جيرفي كورتيلمون(**Jules Gervais-Courtellemont**)(**1863-1931**) إلى الحجاز سنة **1894**. إذ تمثلت مهمته في الحصول على مصادقة علماء الحرم على نص فتوى تمنع الجزائريين من الهجرة من بلادهم على أساس أنها تحت الاحتلال الفرنسي و تعتبر دار إسلام و ليست دار حرب، و هي سياسة كان من ورائها الحاكم العام جول كامبون(**1891-1897**)(**Jules Cambon**) ([15]).

من الأمور التي أشار إليها سعد الله مسألة بلاد الحجاز إذ يورد مسائل حول اليقظة العربية في الحجاز ما بين **1916-1922**، و الحجاز أثناء الحرب العامية الأولى، و الأمير عبد القادر الحفيد و الثورة العربية. ([16]) ويستعين المؤلف حول موضوع اليقظة العربية في الحجاز على أحد عشر نصا، [17] هي عبارة عن مناشير لملك الحجاز الشريف حسين(**1853-1931**). و قد نشرت لأول مرة في جريدة القبلة. ([18])و إثراء للتاريخ العربي الحديث ،قام سعد

الله بترجمة النصوص و العودة إلى مصادرها الأولى من خلال مجلة العالم الإسلامي(RMM) .لقد رحبت فرنسا بقيام الثورة العربية سنة **1916**، بالرغم من توقيعها مع بريطانيا على اتفاقية سايكس بيكو. (19)

أرسلت فرنسا بعثة عسكرية و دينية و سياسية إلى الشريف حسين بقيادة إدوار بريمون(**Edouard Bremond**) الذي نشر كتابا بعنوان(**Le Hedjaz dans la guerre 1914–1918**)،الحجاز أثناء الحرب العالمية الأولى، الذي نشر في باريس سنة **1931**.أما البعثة الدينية و السياسية فقد ترأسها الجزائريان: قدور بن غبريط، و مصطفى الشرشالي. (20)

لقد خصص سعد الله، بحثا مهما عن امكانية إبراز التراث الإباضية من خلال كتاب إبراهيم أطفيش (الدعاية إلى سبيل المؤمنين)،و ذكره لعلماء الإباضية كالورجلاني و الشماخي و أطفيش القطب. بيد أن سعد الله اضطر لاستعراض مقاربة بين عالمين متعاصرين من أعلام الإباضية هما: محمد يوسف أطفيش من الجزائر، و عبد الله السالمي من عمان، و نوه بغزارة علميهما و انتاجهما الفقهي و اهتماماتهما بقضايا العالم الإسلامي و بالمصير المشترك للأمة الإسلامية من خلال الإصلاح و النهوض بهمم الأمة، و التسامح المذهبي و التغلب على الخلافات و أسباب الافتراق بواسطة الشورى و العدل و الالتزام بتعاليم الشريعة.

من خلال التوقف عند المحطات البارزة في الفضاء نفسه عرف سعد الله بالعالم سليمان الباروني الإباضي الليبي الذي تتلمذه بوادي ميزاب على يد علماء المذهب .و كان مهتما بتاريخ الدولة الرستمية و الكتابة عنها، فكانت مناسبة لدراسة عدد من القضايا . و من بين هذه المحطات التعريف بسليمان الباروني الإباضي الليبي و تتلمذه بمدن ميزاب على علماء المذهب الإباضية، و مدى اهتمامه في مجال التأليف بأهمية الدولة الرستمية و أئمتها .

اهتم سعد الله بعمان وعاصمتها مسقط و التواجد العثماني بشرق أفريقيا و دور العمانيين في نشر الإسلام. و هذا من خلال ما كتبته مجلة العالم الإسلامي .و عند تصفح أعداد المجلة اتضح أنها تناولت بالتفصيل عناصر و تركيبة السكان و المجتمع العماني و الحياة الثقافية ، و علاقة

العمانيين بالعثمانيين و الإيرانيين مع مطلع القرن العشرين. كما أشارت المجلة إلى جهود المستشرق الألماني كارل بروكلمان الذي وجد تسعة مخطوطات إباضية حول التاريخ و العقيدة و الفقه في مدينة مسقط. ([21]).

قد يصعب اختزال تاريخ مدينة بحجم الجزائر التي قدم لها سعد الله عرضا خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي من خلال المصادر العربية، فأشار إلى كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان [22]، و كتاب النفحة المسكية في السفارة التركية لعلي التمقروتي . [23]. أما المصادر الغربية التي تناولت تاريخ الجزائر في هذه الفترة فتمثلت في كتاب مرمول كربخال(وصف أفريقيا)، [24] و كتابات هايدو [25]. و كتابات تركية عثمانية مثل بيري رايس [26]و غزوات عروج و خير الدين لمؤلف مجهول [27].أما البيانات التي قدمتها هذه المصادر حول تاريخ مدينة الجزائر فقد رسمت الصور التالية حسب سعد الله:

- الموقع الجغرافي والاستراتيجي للمدينة.
- عناصر تركيبة السكان والتواجد العثماني بالمنطقة في إطار عثمنة الفضاء الجغراسياسي للجزائر.
- المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية.
- المراكز والمنشآت الثقافية.
- الحملات البحرية الخارجية.

لقد استطاع سعد الله أن يجعل القارئ يتحسس أهمية تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية من خلال أسطولها البحري(**1518-1830**)، وصورتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية خلال القرن السادس عشر. وهذا بفضل منهجية دقيقة من خلال تصدير كتاب (بحرية وبحارة الجزائر) بالفرنسية لمؤلفه مولاي بلحميسي [28]. شمل الكتاب خمسة وعشرين فصلاً في ثلاثة أجزاء، تضمن الجزء الأول البحرية و البحارة، و الجزء الثاني الجزائر في مواجهة أوروبا، و الجزء الثالث عظمة الأسطول البحري الجزائري و عوامل انهياره.

و ضم الكتاب دراسة تحليلية نقدية للمصادر و قائمة مصطلحات و نشر وثائق باللغة الأجنبية، يضاف إليها مخطوطات متنوعة. عالج بلحميسي موضوع الصراع الجزائري الأوروبي من زوايا عديدة منها: الدفاع عن الثغور و تحريرها، التصدي للحملات الأوروبية، التضامن الإسلامي الذي شمل إنقاذ الأندلسيين الموريسكيين و مساندة الدولة العثمانية في حروبها البحرية.

أشاد سعد الله بجهود الباحث الجزائري بلحميسي في التأريخ للبحرية الجزائرية خلال العهد العثماني وأعتبره من رواد الدراسات العثمانية في الجزائر، كما نوه بقيمة الكتاب من الناحية المعرفية والتوثيقية والمنهجية. وتمنى أن يترجم الكتاب إلى اللغة العربية لتعميم الفائدة التاريخية لقيمة العمل.

تحدث سعد الله عن مقاربة تاريخية لعالمين مغربيين سافرا ومكثا فترة من الزمن في شبه القارة الهندية وهما عبد العزيز الثعالبي [29] ومحمد البشير الإبراهيمي. [30] وأوضح سعد الله في هذا البحث أن القارة الهندية منذ القرن العشرين جذبت أنظار علماء الإسلام و على رأسهم زعماء المغرب العربي الذين بدأوا يشعرون بثقل قضايا العالم الإسلامي. اختط الثعالبي رحله عن الهند منذ زيارته لها سنة **1924**، فاهتم بشعبها و تاريخ الإسلام منذ عهد الأمويين، و ركز على مسائل المنبوذين في الهند، ودور الإسلام في خلاص أغلبية ساحقة منهم. و قارن سعد الله بين أوليات الثعالبي و الإبراهيمي في حياة الاضطهاد و الهجرة و التغريب و البحث عن أماكن لتحقيق الطموحات، فكان الشرق في البداية مهد الحضارات و مهبط الأنبياء ،فكانت زيارة الإبراهيمي لباكستان سنة **1952**، و **1956**، فلخص انطباعاته حول المنطقة فاهتم بالسياسة و الأوقاف و التعليم خاصة في باكستان التي استقلت عن الهند، و هي سياسة أقرها الاستعمار البريطاني منذ **1947**.و خلص سعد الله أن الفارق بين رحلة الثعالبي و رحلة الإبراهيمي هو خمسة عشر سنة، حدثت تطورات كثيرة مثل الحرب العالمية الثانية و انقسام الهند، و دور الحرب الباردة في تباعد الهوة بين الطرفين .كما اختلف ،الرجلان في بعض المقاربات نتيجة

اختلاف التكوين الشخصي و اختلاف الزمن و الظروف، فأهداف الثعالبي لم تكم معلنة ، بينما أهداف الإبراهيمي كانت معلنة.

يحاول هذا الكتاب استعراض أهم مظاهر الاتصال و التواصل الثقافي بين عوالم الإسلام من خلال رصد مناهج التأليف عند علماء المغاربة و اسهام علماء المغرب في الفكر السياسي ببلاد الشام منذ القرن **19**م. لن نخوض في التفاصيل الدقيقة لكتاب سعد الله بل نكتفي بتسجيل ما يلي من ملاحظات:

- إبراز دور علماء المغرب العربي في الفكر السياسي بالمشرق الإسلامي.
- دور المستعربين الفرنسيين في استصدار فتاوى و المجيء بها من بلاد الحرمين الشرفين لتدعيم التواجد الاستعماري بالجزائر.
- اهتمام علماء المذهب الإباضية مغربا و مشرقا بقضايا العالم الإسلامي و همومه.
- اهتمام المجلات الفرنسية بقضايا القدس و فلسطين قبل و بعد تصريح بلفور.
- صورة الجزائر السياسية و الاقتصادية و العسكرية من خلال الأطروحات الجامعية و الكتابات العربية و الأوروبية.

هذا عرض موجز ،توخينا من خلاله إبراز أهم ما في محاور كتاب بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ،على أن المراجعة تبقى جزءًا من قراءة ذاتية لا تلغي أهمية التفاصيل و الشروحات الكثيرة، و كذلك أهمية المصادر و الوثائق المعتمدة ، سواء باللغة العربية أو باللغات الأجنبية. فعلى صعيد التوثيق يقدم المؤلف إنجازا توثيقياً على قدر كبير من التنوع و التعدد، و استخداماً جيداً لمعطيات الوثيقة و المعلومة لدعم أفكاره المطروحة. في حقيقة الأمر فإن هذا الكتاب هو تحقيق في مسار الكتابة التاريخية الجزائرية من منظور تشكل إبداعي للتأريخ،
و إنجازاً في مضمار المعرفة التاريخية، و في أسلوب التحقيق و النقد و الاستقراء و إعادة البناء. والدكتور سعد الله مؤرخ متميز ،ومرب فاضل من الطراز الأول . أنتج عديد الكتب و البحوث

على صعيد التاريخ العربي والإسلامي، والتكوين التاريخي للأمة الجزائرية ردحا من الزمن ، فكان له دور فاعل في تطويرها ووضعها في مكان لائق بين جامعات العالم .

والأستاذ أبو القاسم سعد الله ،بحق ، علم من أعلام التاريخ الإسلامي ، وصاحب مدرسة تتميز بالدقة والعمق واسعة الموضوع، والأهم من ذلك هو تركيزه في دراساته على (العوامل الاقتصادية و السياسية و الثقافية) في فهم حركة التاريخ والمجتمع . يعتمد منهج سعد الله أيضا في تدوين التاريخ على الرجوع إلى المصادر الأصلية كالوثائق و المخطوطات ومحاكمتها محاكمة منطقية ، واستخلاص الحقائق التاريخية منها . لذلك اتسمت كتاباته بالدقة والعمق . وقد اهتم بالتاريخ الاقتصادي و الثقافي منذ بواكير حياته العلمية وهو يرى بأن موضوع التاريخ ، موضوع حي ، ولذلك ينتظر أن تختلف الآراء حول مفهومه ، وأسلوب كتابته وتفسيره ، هذا فضلا عن أنه موضوع يتصل بصورة وثيقة بالاتجاهات الفكرية والتطورات العامة ، فيتأثر بها وقد يكون له أثره في بعضها . ويؤكد بأن ثمة صلة بين المؤرخ وحقائق التاريخ ، فالمؤرخ دون حقائق لا جذور له والحقائق دون مؤرخ مجردة من الحياة والمعنى .

لقد تمتع الأستاذ سعد الله بمكانة متميزة ، حتى أنه لقب بـ (شيخ المؤرخين الجزائريين) ،إذ كان سعد الله في كل كتاباته، يؤكد بأن تاريخ الأمة الجزائرية كل، متصل ،مترابط ، يكون سلسلة حلقات يؤدي بعضها إلى بعض. أما حاضر الأمة فهو نتاج سيرها التاريخي وبداية طريقها إلى المستقبل ، ولذا فلا انقطاع في التاريخ ولا ظاهرة تبدو فيه دون جذور وتمهيد . كما أن الاتصال في تاريخ الأمة لا يعني ان التاريخ حركة رتيبة ، أو أن الأمة سارت بالخطوات نفسها خلال تاريخها ، بل أن فيها فترات تزخر بالحيوية والتوثب وأخرى تتصف بالحركة التدريجية والتطور الهادئ . ولكل أمة فتراتها الثورية ، هي في الواقع انطلاق صاخب لقوى تجمعت خلال فترات من الكبت أو من التطور السريع الواسع أو هي تعبير عن غليان داخلي انفجر في ثورة صاخبة ، وقد تكون لهذه الفترات آثارها البعيدة في الفترات التي تعقبها أو في فترات تالية

. ومن هنا تتباين فترات تاريخ الأمة في مسيرتها عبر العصور ، فقد يكون أثر فترة بعيدة أقوى في حاضر الأمة من فترة قريبة من هذا الحاضر .

الإحالات :

* أبو القاسم، سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ط**1**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، **1424**هـ/**2003**م، **558** ص.في شهر فبراير سنة **2008** اتصل بي أبو القاسم سعد الله هاتفيا و طلب مني أن أقدم له بعض الملاحظات حول كتابه بحوث، وقتئذ قدمت له انطباعاتي، و فرح كثيرا، وفي هذه الدراسة أسجل ملاحظاتي حول الكتاب لتكون احتفاء بنشاطه العلمي المتميز.

(**1**) شمل الكتاب على ثمانية و عشرون(**28**) دراسة متنوعة في الكم و المعرفة و المنهج.

(**2**) سعد الله، المرجع السابق، ص ص **60-105**.

(**3**) حول موضوع العلوم المساعدة للتاريخ ،ينظر: ليلى، الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، ط**13**، دمشق: منشورات جامعة دمشق، **1428-1429**هـ/**2007-2008**م، ص ص**120-193**. و قد ذكرت المؤرخة السورية **24** علما مساعدا للتاريخ منها: الفنون، علم الإحصاء ،علم الاجتماع، علم الاقتصاد، علم الشفرة، علم الأختام...

(**4**) أضيف إلى عنوان مجلة العالم الإسلامي البعثة العلمية المغربية.

(**5**) حفلت مجلة العالم الإسلامي بموضوعات عديدة حول القدس، و فلسطين عامة. و ظهرت المجلة في باريس بإشراف مديرها ألفريد لوشاتلييه(**A.Le Chatelier**)،(**1855-1929**) الذي أمدها بأبحاثه، كان مسؤولاً للشؤون العربية(الأهلية) في عهد إدارته للمجلة صدر منها **58** عددا. و استقطبت المجلة كتاب متخصصين في التراث الإسلامي أمثال بوفا(**Buva**) المتخصص في شؤون المغرب العربي، و لويس ماسينيون(**Massignon**)المتخصص في شؤون المشرق العربي، و سلوش (**N.Slouch**) المتخصص في شؤون اليهود و كان هذا الأخير متحيز في كتاباته و أحكامه.

(**6**) محاور المواد هي: مدن فلسطين- لهجات القدس- الحياة الثقافية- العرب المسيحيون- الإرساليات- الحجاج- الهجرة اليهودية- عروبة فلسطين- نشاط المؤتمر السوري الفلسطيني.

([7]) مؤتمر سان ريمو، هو مؤتمر دولي عقده المجلس الأعلى للحلفاء فيما بعد الحرب العالمية الأولى، في سان ريمو، إيطاليا، في الفترة من **19–26** أبريل **1920**. وحضره الحلفاء الرئيسيون في الحرب العالمية الأولى يمثلهم رئيس وزراء المملكة المتحدة) جورج لويد(، رئيس وزراء فرنسا) ألكسندر ميلران(، رئيس وزراء إيطاليا) فرانسيسكو سافْريو نيتي (وسفير اليابان ك. ماتسوي. في **25** أبريل **1920** تم توقيع معاهدة سان ريمو التي حددت مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية في المشرق العربي .وأكد المؤتمر على وعد بلفور بتأسيس دولة يهودية في فلسطين.وقد حضر مؤتمر سان ريمو وفداً يهودياً مكوناً من حاييم وايزمان وناحوم سوكولوفْ وهربرت صمويل.

([8]) في الثاني من نوفمبر **1917** صدر الوعد البريطاني الشهير بمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين ؛ حمل الوعد توقيع وزير الخارجية في ذلك الوقت آرثر بلفور. آمن بلفور كما أوضح في كتابه العقيدة والانسانية (**Theism and Humanity**)ان الله اغدق على اليهود وعداً بالعودة الى أرض الميعاد، وان هذه العودة هي شرط مسبق للعودة الثانية للمسيح. وان هذه العودة الثانية تحمل معها خلاص الانسانية من الشرور والمحن ليعمّ السلام والرخاء مدة الف عام تقوم بعدها القيامة وينتهي كل شيء كما بدأ. اكتسب بلفور هذه الثقافة من عائلته، وخاصة من والدته التي تركت في شخصيته الدينية بصمات واضحة من ايمانها بالعقيدة البروتستنتية المرتبطة أساساً بالعهد القديم وما فيه من نبوءات توراتية. ولذلك فان بلفور عندما صاغ الوعد بمنح اليهود وطناً في فلسطين، كان يعتقد انه بذلك يحقق ارادة الله.

([9]) ينظر تصريح جول كامبون في جوان **1917**،و تصريح وزير الخارجية جززيف بيشون في **14** فيبراير **1918**، سعد الله، بحوث...، ص ص **453–459**. تمكنت مجلة العالم الإسلامي من نشر وثائق ودراسات حول فلسطين منذ تأسيس المجلة سنة **1907** إلى غاية **1925**،ينظر:

Revue du monde musulman,n°1,1907-n°62,1925.

([10]) تفرعت المؤلفات التي تناولها سعد الله في بحثه إلى: التراجم(عنوان الدراية للغبريني) و نيل الابتهاج لأحمد بابا التمبكتي و الوفيات(لابن قنفد)، والطبقات للدرجيني الخاصة بعلماء و سير المذهب الإباضية، و برنامج الوادي آشي و هو برنامج خاص بالأندلسيين فهرس الفهارس للكتاني، و المعيار المعرب للونشريسي، و بدائع السلك لابن الأزرق تاريخ الدولتين للزركلي. سعد الله، المرجع السابق، ص ص **71–102**.

([11]) يعتبر محمد رشيد رضا (**1865–1935**)مفكراً إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. كان صحفيا رشيد رضا كاتبا وأديبا لغويا. ويعد أحد تلاميذ الشيخ محمد

عبده .أسس مجلة المنار على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده. صدر العدد الأول من مجلة المنار في مارس**1898** . وحرص الشيخ رشيد على تأكيد أن هدفه من المنار هو الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة وبيان أن الإسلام يتفق والعقل والعلم ومصالح البشر وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام وتفنيد ما يعزى إليه من الخرافات.و عن زيارة محمد عبده إلى الجزائر، يراجع: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**5**،ص ص **583-594**.

([12]) عن أعيان الجزائر في المشرق العربي ينظر: سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**5**،ص ص **521-582**.

([13]) عن أدب الرحلة عند المغاربة ،ينظر: محمد، ماكامان، الرحلات المغربية ق: **11-12**هـ/**17-18**م،ط**1**،منشورات كلية الآداب ،الرباط،**2014**، **552** ص.

([14]) مستعرب فرنسي، تعلم العربية في الجزائر، لقد مكث بشمال أفريقيا **32** سنة، وعمل قنصلاً لفرنسا في طرابلس الغرب و تونس و طنجة

و اليابان. كما تولى الترجمة في الإدارة الفرنسية في عهد فالييه (**1837-1841**) ثم عينه بوجو مترجم رئيسي للجيش الإفريقي في الجزائر. دخل في خدمة الأمير عبد القادر في نوفمبر **1837**، و أصبح أحد كتابه الخاصين، و أعلن إسلامه. و في سنة **1839** هرب ورجع إلى قومه بعد أن عرف أسرار الأمير، و أعلن أنه لم يكن مسلما. قام روش برحلة إلى الحجاز خلال **1841-1842** متنكراً في زي حاج مسلم يدعى(عمر بن عبد الله) وذلك بغرض الحصول من علماء الحرمين على الموافقة على نص فتوى شرعية تجعل الجهاد ضد الفرنسيين من باب إلقاء النفس إلى التهلكة، وضرورة الرضي بحكم الفرنسيين و عدم شرعية مقاومة الأمير. لقد جمع مذكراته و نشرها في باريس سنة **1884** بعنوان: اثنتان و ثلاثون سنة في الإسلام.، تحدث في الجزء الأول عن أوضاع الجزائر و حياة الأمير عبد القادر، أما الجزء الثاني فخصصه لمهمته الرحلية إلى الحجاز و حياة المارشال بوجو(Bugeaud). كما نشر نص الفتوى في هذا الجزء.

Léon, Roches, Trente-Deux ans a travers l'Islam (1832-1864),Librairie de Firmin-Didot et Cle ,Paris,1884,2 Tomes.

وعن أسطورة ليون روش كما صورها الكتاب الفرنسيون، راجع:

EMERIT, Marcel,« La légende de Léon Roches », *In ,R.A ,n°* 91, 1947,p p. 81-105.

حول رحلة ليون روش إلى الحجاز راجع: أبو القاسم ،سعد الله، المرجع السابق**1**، ص ص **322-345**.و أيضا:

يوسف ،مناصريه، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب **1832 – 1847**،الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،**1990** ، **103** ص.

([15]) رحلة إلى مكة المكرمة في سنة **1894**م" للرحالة الفرنسي جول جرفيه كورتيلمون. هو مصور فوتوغرافي فرنسي كان مقيمًا في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر، وكان واحدًا من الفرنسيين الذين هاموا بالمشرق وأحبوا حياته الرومانسية العابقة بصدق المشاعر وأصالة الأخلاق والقيم الإنسانية. فقرر في سنة **1894**م القيام برحلة مماثلة على خطا روش، ليختبر بنفسه هذه التجربة الروحية الفريدة. وسافر بجواز سفر يحمل اسم عبد الله بن البشير. وصل كورتلمون مكة المكرمة عام **1321**هـ – **1894**م من الجزائر، أخذ صاحبنا عدة صور لمكة المكرمة والبيت الحرام بلغ عددها **34**صورة.

يروى كورتيلمون في هذا الكتاب (رحلتي إلى مكة المكرمة في سنة **1894**م) الممتع وقائع رحلته إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وكذلك إلى المدينة المنورة للصلاة في المسجد النبوي الشريف. ويصف إعجابه الشديد بالإسلام وفضائله، فقام بإعلان إسلامه ومارس شعائر الصلاة والصيام والحج بكل تقى، وتفاعل مع أصدقائه من الجزائريين ومن أهل الحجاز بكل مودة، وإن كان خشى من الاعتراف بإسلامه في كتابه هذا الذى نشر بفرنسا عام **1896**م، فادعى أنه "يحب الشرق ويحب الإسلام ببساطته ومعتقداته الراسخة دون أن يكون له الجرأة على اعتناقها". لكن مع ذلك يبقى الكتاب وثيقة وجدانية شفافة تدل على تفاعل إيجابي حميم من مثقف غربي تجاه الحضارة الإسلامية . ولا يخفى المؤلف افتتانه بالشرق فيقول: "إن جميع اللغات والأديان وأسمى أجناس البشر قد انطلقت من هذا الشرق العظيم، فهو جدير بأن يكون مهد الإنسانية جمعاء". ترجم الكتاب إلى اللغة العربية: أحمد إيبش، عن دار الكتب الوطنية ، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة.

لمزيد من التفاصيل ينظر: GERVAIS-Courtellemont ,Mon voyage à la Mecque, Paris Hachette et Ce,1896,236p.

([16]) سعد، الله، بحوث ...، ص ص **321–321**.

([17]) نشرت في مجلة العالم الإسلامي: ينظر:

Textes historiques sur le réveil Arabe du Hedjaz, ,In Revue du Monde Musulman,n°47, Août1921,pp.1-24/n°47,Octobre 1921,pp.1-28.

([18]) حسين بن علي الهاشمي مؤسس المملكة الحجازية الهاشمية وأول من نادى باستقلال العرب من حكم الدولة العثمانية.

(19) وقعت اتفاقية سايكس بيكو بين فرنسا وبريطانيا على اقتسام الدول العربية الواقعة شرقي المتوسط عام **1916**. وتم الوصول إليها بين أبريل وماي من ذلك العام على صورة تبادل وثائق بين وزارات خارجية الدول الثلاث(فرنسا وإنجلترا وروسيا القيصرية). عينت الحكومة الفرنسية "جورج بيكو" قنصلها العام السابق في بيروت مندوبا ساميا لمتابعة شؤون الشرق الأدنى، ومفاوضة الحكومة البريطانية في مستقبل البلاد العربية، ولم يلبث أن سافر إلى القاهرة، واجتمع بـ"مارك سايكس" المندوب السامي البريطاني لشؤون الشرق الأدنى، بإشراف مندوب روسيا، وأسفرت هذه الاجتماعات والمراسلات عن اتفاقية عُرفت باسم "اتفاقية القاهرة السرية"، ثم انتقلوا إلى مدينة بطرسبرغ الروسية، وأسفرت هذه المفاوضات عن اتفاقية ثلاثية سُمّيت باتفاقية سايكس بيكو وذلك لتحديد مناطق نفوذ كل دولة على النحو التالي:

-استيلاء فرنسا على غرب سوريا ولبنان وولاية أضنة.

–استيلاء بريطانيا على منطقة جنوب وأواسط العراق بما فيها مدينة بغداد، وكذلك ميناء عكا وحيفا في فلسطين.

–استيلاء روسيا على الولايات الأرمنية في تركيا وشمال كردستان.

–حق روسيا في الدفاع عن مصالح الأرثوذكس في الأماكن المقدسة في فلسطين.

–المنطقة المحصورة بين الأقاليم التي تحصل عليها فرنسا، وتلك التي تحصل عليها بريطانيا تكون اتحاد دول عربية أو دول عربية موحدة، ومع ذلك فإن هذه الدولة تقسم إلى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية، ويشمل النفوذ الفرنسي شرق بلاد الشام وولاية الموصل، بينما النفوذ البريطاني يمتد إلى شرق الأردن والجزء الشمالي من ولاية بغداد وحتى الحدود الإيرانية.

–يخضع الجزء الباقي من فلسطين لإدارة دولية.

–يصبح ميناء إسكندرون حرا.

تم الكشف عن الاتفاق بوصول الشيوعيين إلى سدة الحكم في روسيا عام **1917** مما أثار غضب الشعب السوري الذي يمسّه الاتفاق مباشرة وأحرج فرنسا وبريطانيا.تم تقسيم المنطقة بموجب الاتفاق فحصلت فرنسا على الجزء الأكبر من بلاد الشام وجزء كبير من جنوب الأناضول ومنطقة الموصل في العراق، أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعا بالاتجاه شرقا لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية .كما تقرر وضع المنطقة التي اقتطعت فيما بعد من جنوب سوريا "فلسطين"

تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا لاحقاً (وبموجب **وعد بلفور** لليهود، أعطيت فلسطين للصهاينة لبناء دولة إسرائيل).

([20]) عبد القادر بن غبريط ينحدر من أسرة كان أهلها من أعيان تلمسان. ولد بسيدي بلعباس سنة **1868** و توفي بباريس سنة **1954**.موظف سامي لدى الإدارة الاستعمارية الفرنسية ،تقلد مهام مترجم ثم عميد مسجد باريس سنة **1921**، و هو أحد مؤسسيه. يعتبر من أبرز الكتاب الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية. أرسلته فرنسا ليساعد الشريف حسين في ثورته ضد الأتراك سنة **1916**. ينظر:

Pouillon François , Dictionnaire des orientalistes de langue française, Paris, IISMM-Karthala,2008,1007 p.

Achour,Cheurfi, Petite Encyclopédie de l'Algérie, Editions Dalimen,Alger,2013,pp.611-612.

أما الجزائري الثاني مصطفى الشرشالي (توفي سنة **1930**) الذي ارتبط اسمه بمسألة تدوين الفقه الإسلامي أصدر الفرنسيون مجلة الأحكام التي أشرف عليها هذا الأخير برئاسة المستشرق الفرنسي دومينيك لوسياني(**1851-1932**)(**Jean-Dominique Luciani**) الذي كان على رأس إدارة الشؤون الأهلية(إدارة شؤون الجزائريين) ما بين سنوات : **1901-1919**، كما ترأس الجمعية الجزائرية التاريخية ما بين **1927-1932**.حول هذه الشخصية ، راجع:

ESQUER (G.)," Dominique Luciani [1851 + 1932]",In, *R.A* ,*n*° 73, 1932, pp.161-181.

Alain,Messaoudi, Les Arabisant et la France coloniale ,Annexes ,ENS éditions,Lyon,2015,pp.228-229.

اسم المجلة التي اهتمت بالفقه : مجلة الأحكام السارية الجزائرية و صدرت ما بين **1907-1913**.و كان الهدف من وراء ذلك هو اتمام اندماج الشريعة الإسلامية في القانون الفرنسي، و فتح أبواب التجنس و الزواج المختلط .و تألفت اللجنة سنة **1906** من ستة عشر عضواً فرنسياً و خمسة جزائريين، منهم الشرشالي. للمزيد حول تدوين الفقه الإسلامي، يرجى مراجعة، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج**7**، ص ص **105-106**، و أيضا: سعد الله، المرجع السابق،ج**4**، ص ص **528-538**.

([21]) Revue du monde musulman ;T4,1908,pp.160-161.

([22]) الحسن بن محمد الوزان والمشهور ب ليون الأفريقي أو يوحنا ليون الأفريقي أو يوحنا الأسد الأفريقي. ولد بمدينة غرناطة سنة **1483**م. انتقل إلى المغرب للعيش بفاس وأصبح سفيراً لسلطانها محمد البرتغالي الوطاسي(**1504-1525**). سقط في الأسر (**1519**)خلال توقف سفينته في جزيرة جربة واقتيد للبابا ليون العاشر الذي حمله على اعتناق المسيحية، والبقاء لتدريس العربية في روما، اختفى في ظروف غامضة

سنة **1550** ، ترك لنا كتابا في فن الرحلة نحا فيه منحى علميا و سلك فيه منهجا بعيدا عن الحشو و الاستطراد، فكان اهتمامه منصبا على البيئتين الطبيعية و البشرية، فجمعت كتابته بين الجغرافيا و التاريخ و علم الاجتماع.

([23]) أبو الحسن علي التمقروتي (**1534**–**1594**)، الفقيه المغربي المطلع على التاريخ و كتب المسالك و الرحلات. للمزيد راجع: كراتشكوفسكي،تاريخ الأدب الجغرافي،(ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم)، القاهرة، **1957**ج**1**، ص **459**. و أيضا: التمجروتي أبو الحسن علي، النفحة المسكية في السفارة التركية،(تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي)، الرباط: المطبعة الملكية، **2002**.

([24]) مؤرخ اسباني ولد بغرناطة سنة **1520** وتوفي سنة **1600**، شارك في الجيش الإسباني المرابط بالحاميات الإسبانية بوهران و المرس الكبير ما بين (**1573**–**1599**).

([25]) ولد المؤرخ الإسباني فراي دييغو دي هايدو في وادي كارانسا Carança في جبال البرانس على الحدود الفرنسية الإسبانية و توفي في الجزء الأول من القرن **17**م. أمضى سنوات في الأسر بالجزائر في الفترة من **1578** إلى **1581**.من مؤلفاته : طوبوغرافيا الجزائر و تاريخها العام(Topografía e historia general de Argel). تاريخ ملوك الجزائر (Epitomé de los Reyes de Argel).

([26]) أحمد محيي الدين بيري) بالتركية (Ahmet Muhiddin Piri :الشهير بالتركية بيري ريس بالتركية : Piri Reis)

(ولد ما بين**1465** و**1470** وتوفي ما بين **1554** و**1555**م). هو قبطان وراسم خرائط عثماني، أول من اكتشف الأمريكيتين قبل كريستوفر كولومبوس، واكتشف القارة القطبية الجنوبية، ورسم لسواحل كلاهما خارطة.خريطة بيري ريس الأولى التي رسمها بيري رئيس للعالم وانتهى منها عام **1513** م ثم قدمها للسلطان سليم الأول في مصر عام **1517** م تضم – في الجزء الذي وصلنا منها إسبانيا وشرق أفريقيا والمحيط الأطلسي والأقسام التي عُرفت آنذاك من أمريكا وجزر الأنتيل .ويدلنا ضياع قسم منها على أنها كانت خريطة للعالم. ومن أكثر الملاحظات المدونة إثارة للاهتمام تلك الملحوظة الخامسة الخاصة باكتشاف أمريكا.

الخريطة الثانية فهي خريطة للعالم تحمل تاريخ **1528** م، ويضم القسم الذي وصلنا منها الجزء الشمالي للمحيط الأطلسي وشواطئ الشمال في أمريكا الشمالية من جرينلاند حتى شبه جزيرة فلوريدا .وأهم ما يميز تلك الخريطة أن الجزر وبعض الشواطئ رسمت بشكل يقرب للواقع، مقارنة بالخريطة الأولى.

وأهم ما وضعه بيري رئيس كان "كتاب بحرية" الذي ألفه **1520** م، ثم قام بتوسيعه عام**1525** م، ثم قدمه للسلطان سليمان القانوني(**1520-1566**).

(27) مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين،(تحقيق :نور الدين عبد القادر)، الجزائر: المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، **1353** هـ **1934**م.

Histoire d'Aroudj et de Khaïr Ed Din :Fondateurs de la régence d'Alger, chronique arabe au XIVe siècle .A.Rang-Ferdinand denis,Paris,1857.2Tomes.

(28) **Moulay ,Belhamissi, Marine et Marins d'Alger 1518-1830,Bibliothéque nationale d'Algérie,Alger,1996.**

و أصل الكتاب أطروحة جامعية نوقشت بفرنسا سنة **1986**:

- Belhamissi (Moulay), Marine et marins d'AALger à l'époque Ottomane (1518-1830), Thèse de Doctorat d'état, université de Bordeaux III, Mars, 1986, 4 vol.

(29) عبد العزيز الثعالبي (**1876 – 1944** م) زعيم تونسي سياسي وديني. من القليلين الذين زاوجوا بين السياسي والديني، وبين المحلي والإقليمي والعالمي في عملهم؛ للتخلص من الاحتلال وظلمه والرفعة بالمجتمع والرقي به في الوقت ذاته.

(30) محمد البشير الإبراهيمي (**1889-1965**)) من أعلام الفكر والأدب في العالم العربي ومن العلماء العاملين في الجزائر.وهو رفيق النضال لعبد الحميد ابن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية الجزائرية، ونائبه ثم خليفته في رئاسة جمعية العلماء المسلمين سنة **1940**، وكاتب تبنى أفكار تحرير الشعوب العربية من الاستعمار. حول شخصيته، يراجع: أحمد، الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص ص 151- 155